الحركة اللغوية والنحوية في فلسطين في القرنين السابع والثامن الهجريين

الفصول المفيدة في الواو المزيدة للكيكلدي أنموذجاً

الباحثان

د. فضل محمد النمس _ جامعة الأقصى

أ. محمد محمود أبو قادوس _ جامعة الأقصى

الحركة النحوية واللغوية في فلسطين في القرنين السابع والثامن الهجريين

الفصول المفيدة في الواو المزيدة للكيكلدي أنموذجاً

التمهيد

الحياة السياسية والعلمية في فلسطين

لعله لا بد لنا أن نطوف في فلسطين بين يدي القرنين السابع والثامن، قبل هذه الفترة، وبعدها كي نقف على الحياة العلمية والسياسية، ومن ثم الحركة النحوية واللغوية في فلسطين في هذين القرنين ويدعونا لهذا التطويف في الحديث عن هذه الفترة أنها فترة قلقة شهدت أفول نجم الخلافة العباسية في بغداد، وانحسار نفوذها من هجمة المغول، ثم الصليبيين على ديار المسلمين، وبزوغ نجم كل من دولة الأيوبيين والمماليك في فلسطين وسائر بلاد الشام ومصر، ولعله أيضاً لا يمكننا انكار التشابه في الوضع السياسي بين فلسطين ومعظم بلاد الشام، وما حولها في هذه الفترة الزمنية، حيث أنهكت الحروب الطاحنة داخلياً وخارجياً قوة السلاجقة الأتراك الحاكمين في بلاد الشام وغيرها، حتى صاروا شيعاً وأحزاباً ومعسكرات متباينة تتصارع فيما بينها (انظر جهاد المسلمين في الحروب الصليبية 11) مما أدى إلى تردٍ خطير في الأوضاع السياسية لبلاد الشام والذي مهد السبيل للخطر الصليبي الذي بدأ يلوح في الشرق الأدنى الإسلامي، إذ استفاد الصليبيون من هذه الأوضاع، فأخدوا يتحالفون مع هذا ضد ذاك إلى أن استطاعوا السيطرة على انطاكية، وأسسوا أول إمارة صليبية في الشام، وتوالى استيلاؤهم على إمارات أخرى من بينها: إمارة بيت المقدس، فصارت معظم إمارات الشام تحت نفوذهم (انظر سلاجقة الشام الجزيرة 233 / 235) وكان أن قيض الله للأمة رجلاً عظيماً هو عماد الدين زنكي، إذ نجح في تنظيم البلاد سياسياً وإدارياً،

وبدل جهوداً لتوحيد البلاد من الداخل تمهيداً لطرد المحتلين من فلسطين. وقد نجح عماد الدين زنكي في سنوات حكمه في القضاء على التشتت والتفتت، وأصبحت دولته عند وفاته تضم اقاليم واسعة من الجزيرة وشمال بلاد الشام (انظر ترجمته في شذرات الذهب في اخبار من ذهب 4/ 128) وأصل نور الدين زنكي ما بدأه أبوه من توحيد القوى الإسلامية ضد الفرنجة إلى أن ظهرت أسرة بني أيوب الذين ساعدوا نور الدين في جهوده لتوحيد الدولة وتوسيع أملاكه، فامتد نفوذ هذه الأسرة، وظهرت ملامح هذا النفوذ باقتطاع شريكوه مدينة حمص، ونجم الدين أيوب دمشق (انظر الكامل لابن الأثير 9/ 345).

توالت الجهود في عهد بني أيوب من أجل بسط السيطرة والنفوذ والقضاء على الصليبيين حتى جاء صلاح الدين الأيوبي، وقد كان – كما يقول د.أحمد شلبي–: "ابعد طموحاً، فقد أراد أن تمتد سلطة الأيوبيين إلى مصر والشام، فكان له ذلك وقويت دولته فأنزل بالصليبيين خسائر فادحة، وحقق الانتصار الأكبر ممثلاً في تحرير القدس من أيديهم" (موسوعة التاريخ الإسلامي د. أحمد شلبي 5/ 198) وكان ذلك سنة 583هجرية.

ثبَّت صلاح الدين دعائم الحكم الإسلامي في القدس، وشرع في تثبيته في بقية إقليم الشام مما ساهم في نشوء أول حركة علمية ظهرت معالمها في بناء المؤسسات التعليمية من مدارس وزوايا وخوانق، وقد تابع هذه الحركة ابنه الملك الأفضل، ثم ابن أخيه الملك المعظم (ستأتي ترجمة للمعظم نظراً للدور العظيم الذي لعبه في خدمة الدراسات اللغوية والنحوية في فلسطين)

من المهم أن نشير إلى أن الأيوبيين لم يستطيعوا نشر حركتهم العلمية في أرجاء فلسطين، لأن الأمر لم يكن قد استقر تماماً، إلا أننا نستطيع أن نقول أن هذه الحركة كانت منطلقاً للمماليك الذين نجحوا في أواسط القرن السابع الهجري في متابعة المسيرة العلمية في خط صاعد ثابت حتى أواسط القرن العاشر الهجري، ومن الملاحظ أن القرن التاسع للهجرة شهد ذروة التقدم العلمي " فقد استطاع المماليك أن يسهموا في

نشر الحركة الفكرية واللغوية في أنحاء فلسطين، وليس في القدس وحدها (الموسوعة الفلسطينية قسم دراسات الحضارة 3/ 13، التربية والتعليم في فلسطين: الدكتور كامل العسلي).

وربما كان للازدهار الاقتصادي أثر كبير في تطور الحركة الفكرية مما مكن المماليك من التوسع في إنشاء معهد العلم، والمدارس الضخمة ووقف الأوقاف عليها، وقد كانت المدارس في تلك الآونة غاية يتسابق إليها القادرون لأسباب متنوعة، سياسية ودينية، وقد شهدت هذه المرحلة – الأيوبية والمملوكية – ازديادا واضحاً في أعداد الطلبة والعلماء، والمشتغلين بالعلم، وقد أوردت كتب التاريخ والترجمة أسماء عدد كبير من هؤلاء المشتغلين بالعلم سواء من أهل فلسطين أم ممن وفدوا إليها وساهموا في الحركة الفكرية فيها، إن هذه المدارس التي أنشئت في القدس خاصة وفي فلسطين عموماً اجتذبت هؤلاء العلماء من بقاع الأرض (انظر المرجع السابق 3/ 13)، ويكفي أن نعلم أن مجير الدين الحنبلي عدَّ في كتابه ما يربو على 440 عالماً وخطيباً وقاضياً ممن عاصروا الفترة الأيوبية والمملوكية، هذا فقط في القدس والخليل (لمزيد من التفصيل انظر الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل).

ويبدو أن فلسطين لم تكن تعرف المدارس على هيئتها في العصرين الأيوبي والمملوكي، وإنما عرفت ما يشبه الزوايا، في أواسط القرن الخامس الهجري، كالزاوية النصرية، ومدرسة ابن عقبة في القدس، والظاهر أن أول مدرسة حقيقية أنشئت في فلسطين هي المدرسة الصلاحية (588هـ) (انظر المفصل في تاريخ القدس 236)، فمنذ أواخر القرن السادس بدأت المدارس في الظهور بشكل ملفت للنظر، وتعجب إذا عرفت أن صاحب المفصل ذكر أكثر من ست وخمسين مدرسة منها عشر مدارس أيوبية في القدس وحدها، أنشئت هذه المدارس في هذين العهدين (انظر المرجع السابق من 236 إلى 259) صحيح أن القدس كانت المكان الأمثل بالنسبة لطلاب العلم من فلسطين وغيرها، إلا أن هذا لا يعني انحصار الحركة العلمية في المسجد الأقصى وما يحيط به، فقد ذكر ابن حجر العسقلاني أنه: "سمع بغزة من الشيخ أحمد بن محمد الخليلي، وسمع في الرملة من الشيخ أحمد بن محمد الأيكي، وسمع في الخليل من

صالح بن خليل" (انظر الموسوعة الفلسطينية، 14/3 التربية والتعليم في فلسطين: الدكتور كامل العسلي) ومعنى هذا أن القدس وغزة والرملة والخليل وصفد ونابلس كانت أهم المراكز التعليمية في فلسطين.

وقد كانت غزة أحفل المدن بالمدارس بعد القدس، وقد حظيت باهتمام المماليك باعتبارها عاصمة إحدى النيابات الست في بلاد الشام، ومن مدارسها: الكاملية أنشأها الكامل الأيوبي سنة (635هـ)، ومدرسة سنجر الجاولي (711 هـ)، والمدرسة الكجكية وغيرها من المدارس (انظر المصدر السابق 3/ 14) وتجد أيضاً مثل هذه المدراس والزوايا في نابلس، وفي الرملة التي بدأت تنتعش فيها الحركة العلمية في القرن الثامن وبلغت أوجها في القرن التاسع، ومثل ذلك يقال عن الخليل وصفد.

ومن الملاحظ أن هذه المدارس كانت أشبه بالكليات الجامعية، إذ تخصصت كل مدرسة في مجال محدد، وكان لكل علم مشيخة خاصة وإن كان الطابع الديني هو الغالب عليها.

علم العربية في فلسطين

أولاً النشأة والتطور:

تضع الثقافة الإسلامية العلوم العربية بحكم طبيعتها في أولى أولوياتها لذا فقد نشأت العلوم العربية مع البدايات الأولى للحضارة الإسلامية العربية، ويعلل البعض ذلك بالسعي المبكر لحفظ القرآن من اللحن، والظاهر أن هذا الرأي مخالف لطبيعة الدراسات العربية التي تشعبت وتفرعت، فلو كان الأمر لمجرد الحفظ من اللحن لما أنتج العرب هذه الثروة الضخمة في مجال الدرس اللغوي، لذا فإن الراجحي يرى أن هذه الدراسات إنما جاءت لفهم النص القرآني وبيان وجوه إعجازه. (انظر دروس في المذاهب النحوية د. عبده الراجحي 10)

وما يؤكد ذلك الصلة الوثيقة بين علم القراءات وعلم النحو؛ ويتضح ذلك من استعراضنا لرواد هذا العلم فهم من القراء أصلاً، مثل أبي عمرو بن العلاء، والكسائي، حتى ابن جني يكتب في القراءات وفي النحو، ومن المعروف أن مركز النهضة اللغوية كان في البصرة ثم الكوفة إلى أن امتد إلى بغداد، وذلك في القرون الثلاثة الهجرية الأولى، ثم انتقلت إلى مصر وهكذا امتدت إلى الأندلس، وإلى بلاد الشام وكانت فلسطين من ضمن هذه الأقاليم التي امتد إليها النشاط اللغوي، وإن كان هذا النشاط قد بدأ متأخراً بالمقارنة مع غيره، فالدكتور عفيف عبد الرحمن يرى أن البدايات الحقيقية للحركة اللغوية في فلسطين كانت مع مطلع القرن السادس الهجري (الموسوعة الفلسطينية قسم الحضارة 3/ 427، علم اللغة في فلسطين: الدكتور عفيف عبد الرحمن) وكان شرف السبق للأيوبيين، ولم يقتصر جهدهم في تلك المرحلة على تشجيع الحركة اللغوية، بل شاركوا فيها، وكان منهم الملوك الذين وصلوا إلى درجة الإفتاء في اللغة (المدرسة النحوية في مصر والشام: د. عبد العال مكرم 113) وتروى لنا التراجم أن ابن بريٍّ منح الملك الكامل إجازة في فن النحو (النجوم الزاهرة 6/ 228).

كما ذكرت هذه الكتب أخباراً عن الملك المعظم الذي لمع في هذا الفن، فقد قرأ كتاب سيبويه نصاً وشرحاً، والإيضاح لأبي علي الفارسي، والحماسة وشيئاً كثيراً من كتب العربية على تاج الدين الكندي (انظر شفاء القلوب في مناقب بني أيوب 244، 245، وانظر تراجم رجال القرنين السادس والسابع لأبي شامة المقدسي 97، 98) وربما لا نجاوز الحقيقة إذا قلنا إن الملك المعظم فتح باباً عظيماً في فلسطين عامة وفي القدس خاصة لهذا العلم، ولا نكاد نبالغ إذا قلنا: إن الحركة النحوية الحقيقية ظهرت معالمها الواضحة في فلسطين في عهد ذلك الملك، وقد تابع المماليك هذه المسيرة بالرغم من انشغالهم في الحروب، ولكن حكام المماليك لم يشاركوا في هذه الحركة كأسلافهم، وربما كان السبب في ذلك انشغالهم في الفتوحات وتأمين البلاد، ولكن هذا لا يعني إهمالهم لهذه الحركة، فقد تركوا أعباء القيام بالتدريس والتصنيف النحوي واللغوي عموماً للعلماء والفقهاء، ولم يبخلوا بالمال والعطايا (انظر المدرسة النحوية في مصر والشام 144).

ثانياً: مظاهر العناية باللغة:

ذكر ابن العربي في رحلته التي قام بها إلى بيت المقدس "أن فلسطين كانت تعج بالعلماء من أهلها، ومن الوافدين" (الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى، د. عبد الجليل عبد المهدي، 21)، وكانت العربية بالنسبة لهؤلاء العلماء علماً لا يستغنى عنه فلا تكاد تطلع على سيرة عالم حتى يقال لك إنه فقيه أصولي نحوي، وحتى منهجهم التعليمي لم يكن يخلو من كتاب في اللغة العربية وعلومها، يشترط على الطالب في أي مجال أن يدرسه أو يحفظه كمتطلب أساسي لا يجاز في تخصصه إلا إذا اجتاز هذا المتطلب، وتبدو العناية باللغة العربية واضحة منذ بداية القرن السادس حتى نهاية القرن التاسع، ومظاهر هذه العناية تتجلى في ثلاثة محاور:

1- كثرة المدارس المتنوعة التي يعتبر الكتاب اللغوي أساساً في تدريسها إضافة إلى إنشاء المدرسة النحوية المتخصصة في هذا المجال من التدريس فحسب.
2- كثرة العلماء المتخصصين سواء من أهل فلسطين أو من الوافدين إليها.
3- كثرة المصنفات والمؤلفات في علوم اللغة العربية، وفي مجال النحو بالذات.

المدارس التي تدرس اللغة في فلسطين

المدارس هي: "تلك الدور المنتظمة التي يأوي إليها طلاب العلم وهم موسع عليهم في الرزق، ويُختارون بحسب شروط الواقف، لمن يحسنون القيام بالغرض الذي ندبوا للدعوة إليه، ويُجازون بما تعلموا من ضروب المعارف الإلهية والبشرية" (المدرسة النحوية في مصر والشام 29) وقد ظهرت المدارس في إقليم الشام في وقت مبكر جداً، قبل ظهورها في مصر(انظر المرجع السابق 104) ولعل أكثر مدرستين متخصصتين في النحو شهرةً في هذه الفترة الزمنية هما اثنتان: الأولى في دمشق والثانية في القدس (انظر المرجع السابق 104) والحقيقة أن المدرسة النحوية في القدس كتب لها الشهرة والاستمرار بصورة أوسع وأكبر من المدرسة النحوية في دمشق، هذه المدرسة الفريدة التي تدل على بدء الاهتمام بهذا العلم في فلسطين بصورة متخصصة، ومن ثم فهذه المدرسة بمشايخها وطلابها تجيب عن سؤال د. عبد الجليل، هل كان للغة العربية مشيخة تعنى عناية خاصة بالعربية، تعطي لها المخصصات المالية والمعيشية؟ (انظر الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى 145).

الملك المعظَّم والمدرسة النحوية في بيت المقدس:

هو الملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي شرف الدين، العالم الفقيه، المجاهد الغازي، النحوي، اللغوي، ولد بالقاهرة سنة 576هـ ونشأ بالشام، فقد ملك الشام بعد أبيه من العريش إلى حمص وما بين الأرض المقدسة ومدينة النبي صلى الله عليه وسلم ومما دخل في ملكه فلسطين وبيت المقدس، وكان في ملكه مجاهداً نبيلاً شجاعاً عالماً فاضلاً، قرأ القرآن، وتفقه على مذهب أبي حنيفة خلافاً لبقية الأيوبيين الذين تفقهوا على مذهب الإمام الشافعي، وقد اعتنى المعظم بكتاب الحنفية الأول الجامع الكبير في الفقه الحنفي، وصنف له شرحاً، وحفظ الإيضاح لأبي علي الفارسي، وقرأ كتباً كثيرة من كتب الأصول في علم العربية

واستوعبها من أفواه العلماء كما ذكرنا سابقا، فقد قرأ المعظم الأدب والنحو على تاج الدين الكندي، و أخذ عنه الكتاب لسيبويه، وشرح السيرافي والحجة في القراءات لأبي على، وكان مما حفظه المفصل في اللغة للزمخشري، وكان يجيز من حفظه بثلاثين دينارا، وله ديوان شعر، وتروى لنا كتب التراجم أن الملك المعظم عيسى لم يكن ينقطع في كل سفرياته وغزواته عن الاشتغال بالقرآن والجامع الكبير، وعن الكتاب لسيبويه، ويقال: إنه كان يسير إلى أستاذه الكندي ماشياً وكتابه تحت إبطه من القلعة إلى بيت الشيخ، يقول ابن واصل: إنه رأى بنفسه خط الملك المعظم على كتاب سيبويه في عدة مواضع، يقول في بعضها: "أتممته مطالعة وأنا بنابلس..."، ولأجل ذلك كان المعظم عيسى يقرب العلماء ويشجعهم على الاشتغال بالعلم والتصنيف والحفظ، وكان يقول: "من حفظ الجامع الكبير – للشيباني– أعطيته مائة دينار، ومن حفظ الإيضاح – للفارسي أعطيته مائتي دينار"، فحفظ الكتابين جماعة كبيرة، يقول ابن واصل: لما قدم المعظم القدس سنة 623هـ استدعى جماعة من الفقهاء والعلماء، وباحثهم في مسائل لغوية وفقهية، ودارت بينهم هذه المسأله: سأل المعظم: كيف ورد في القراءات الست قراءة أبي عمرو بن العلاء: (إنَّ هذان لساحران)، ومن شأن "إنَّ" أن تنصب ما بعدها؟ فقال بعضهم:" "إن" هنا بمعنى نعم كما في قول الشاعر:

ويقلن شيب قد علاك   وقد كبرت فقلت إنَّه

فردَّ عليه آخر: وما شأن اللام في "لساحران" التي تأتي مع إنَّ المؤكدة؟ فإنه لا يقال نعمْ زيداً لقائم، فقال السلطان لا يعكر عليه ذلك بل جاز أن تأتي هذه اللام رعاية للفظ واعتبار قد جاء كثيراً، يقولون: يا زيدُ الظريف، فيراعون اللفظ، ويحملون عليه، وإن كان في التقدير منصوباً، فاستحسن الجالسون الجواب وأطنبوا في الثناء عليه.

(انظر ترجمته في الكتب التالية: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب 244، 245، البداية والنهاية لابن كثير 141/13، تراجم رجال القرنين السادس والسابع للمقدسي 152، وفيات الأعيان 3/ 494 شذرات الذهب 5/ 115)

وقد أحسن د. أحمد بدوي حين أطلق على الملك المعظم مأمون بني أيوب (انظر الملك المعظم عيسى، رسالة دكتوراة، د. رياض شاهين) ويقول الدكتور مكرم: "إن احتضان الملك المعظم عيسى لعلم النحو والقراءات أفاد هذا العلم فائدة جليلة؛ لأن الناس على دين ملوكهم كما يقولون، فقد أقبل المتعلمون على النحو، وفتح لهم الملك المعظم أبواب تعليميه وتعلمه، بل إنه جعل لكل من يحفظ كتاب سيبويه جائزة كبرى، فتنافس الطلاب على حفظه وتعاونوا على فهمه" (المدرسة النحوية في مصر والشام 45)، مما كان له أثر كبير في إيجاد حركة نحوية حول الملك المعظم في فلسطين وسائر بلاد الشام، ومن مظاهر هذه الحركة أنه أمر العلماء حوله أن يجمعوا له كتابا في اللغة يشمل صحاح الجوهري والجمهرة لابن دريد، والتهذيب للأزهري، وأمر أن يرتب له مسند الإمام أحمد. (انظر البداية والنهاية لابن كثير 141/13)

المدرسة النحوية:

جاء إنشاء هذه المدرسة إفرازاً طبيعياً لاهتمام الملك المعظم بالدراسات النحوية، ولا يعني هذا أن المدرسة النحوية هي فقط التي درّست النحو، بل كانت هذه الدراسات أيضاً موجودة في المدارس غير المختصة حتى إنهم اشترطوا أن يكون في المدرسة غير المختصة عالم نحوي يدرس علوم العربية، وإنما كان التخصيص من حظ هذه المدرسة التي أنشأها المعظم على طرف صحن الصخرة من جهة القبلة إلى الغرب سنة 604هـ، ويدرّس فيها الكتاب لسيبويه، وإصلاح المنطق لابن السكيت، وملحة الإعراب للحريري وغيرها (انظر المدارس في بيت المقدس 351) وقد رتب لها المعظم إماماً مفرداً يصلي الصلوات الخمس، ورتب لها أيضاً خمسة وعشرين نفراً من طلبة النحو، وأوقف لها قرية (بيت لقيا) مع إنشاء سكن للإمام قيّم المكان، وقد استمرت هذه المدرسة تؤدي دورها اللغوي

النحوي منذ إنشائها حتى نهاية القرن التاسع الهجري، لو لم تكن هذه المدرسة تقتصر على تدريس النحو بل كانت تدرس علوم العربية أيضاً، وكان يدرس فيها أمهات كتب النحو، وتذكر كتب التاريخ أن عدداً كبيراً من خيرة العلماء تولى التدريس فيها، ومن هؤلاء العلماء قاضي القضاة تقي الدين أبو بكر بن عيسى بن الرصاص الأنصاري المقدسي(ت 832هـ). (انظر المدارس في بيت المقدس 361، والحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى 150).

مدارس أخرى غير متخصصة:

لما كانت علوم اللغة مما لا يستغنى عنه بالنسبة للعلماء و للمتعلمين في هذه الفترة الزمنية فان المدارس ذات الاتجاه الفقهي أو الأصولي أو المدارس القرآنية لم تنس نصيبها من هذه العلوم، ومن هذه المدارس المدرسة الناصرية أو النصرية التي أنشأها الشيخ نصر المقدسي وجدد إنشاءها الملك المعظم عيسى وجعلها زاوية لقراءة القرآن والاشتغال بالنحو، ووقف عليها كتباً كثيرة بتاريخ (610هـ). (انظر الانس الجليل "2/ 34 "، المفصل في تاريخ القدس 240)، وكذا **المدرسة الصلاحية**:التي كانت فيما مضى كنيسة للروم، فأنشئت مدرسة للشافعية وكان ذلك زمن صلاح الدين الأيوبي (588هـ)، وقد كانت يؤمئذ من المدارس التي يشار إليها بالبنان، تولى التدريس فيها علماء موسوعيون، أمثال: العلامة عماد الدين أبو الفدا بن إسماعيل جماعة الكناني الشافعي (ت776هـ)، وأبو إسحاق إبراهيم بن جماعة الكناني المقدسي (ت790 هـ)، وأبو العباس أحمد المصري المقدسي المشهور بابن الهائم الذي مهر في علوم شتى منها: الفرائض، والحساب، والفقه، واللغة، والنحو (ت815 ه). (انظر المفصل في تاريخ القدس 236، 237)، ومنها أيضا المدرسة العظميّة ومن أسمائها الحنفية وهي التي وقفها الملك العظم عيسى للتدريس فيها، وكانت في القدس تعج بالعلماء والدارسين للغة العربية وعلومها. (انظر المفصل في تاريخ القدس 240).

انتشار العلماء في فلسطين من الوافدين ومن أهلها:

كانت فلسطين في هذه الفترة الزمنية عامل جذب وتصدير للعلماء بصفة عامة و للنحاة بصفة خاصة، حيث إنه بقراءة بسيطة لتراجم رجال القرنين السادس والسابع لأبي شامة المقدسي الذي ولد في بيت المقدس ورحل عنها، وهو عالم في النحو والتاريخ والحديث والقراءات القرآنية والفقه، فأقام في دمشق يؤثر ويتأثر في علمائها ونحوييها (ت 665هـ) ذكر كثيراً من العلماء والنحاة ولدوا في فلسطين ورحلوا عنها إلى دمشق أو القاهرة، وآخرون وفدوا إلى فلسطين من مصر وبلاد الشام الأخرى (انظر تراجم رجال القرنين السادس والسابع لأبي شامة المقدسي) أما في هذا البحث فإننا سنتناول بعضا من العلماء المشتغلين بالنحو واللغة في فلسطين من العلماء الذين وفدوا إليها أو من أهلها المقيمين.

أولاً: العلماء الوافدون:

كثر الوافدون من أهل العلم إلى فلسطين وبالذات إلى بيت المقدس، لما له من مكانة في القلوب، ولكثرة المدارس، فيها ولتشجيع الولاة فيها على العلم من جانب آخر، ونذكر هنا بعض أعلام اللغة الذين زاروا فلسطين، وأقاموا فيها زمناً، وأفادوا الحركة اللغوية والنحوية فيها، من هؤلاء: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (729-817هـ) قدم إلى فلسطين وأقام فيها زمناً (انظر الضوء اللامع 10/ 80، طبقات المفسرين 2/ 274) ومن غير شك في أن هذا العالم أفاد ودرّس في مدارس القدس، وإن لم نعرف هل صنف في فلسطين أم لا، لقد وفد إلى فلسطين في سن الثلاثين ودرس فيها على علمائها، ثم تولى التدريس فيها، وذكر أنه "قطن بيت المقدس نحو عشر سنين وولي تداريس وتصادير، وظهرت فضائله وكثر الآخذون عنه، وكان ممن أخذ عنه صلاح الدين الصفدي العالم الفلسطيني اللغوي النحوي، و أوسع في الثناء عليه. (انظر المرجعين السابقين)

ومن العلماء الوافدين أيضا: القفطي جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف، فقد أقام في بيت المقدس سبعة عشر عاماً، درّس في القاهرة علوم الدين

واللغة والتاريخ وغيرها، ثم استمر في طلب العلم دارساً ومدرساً وقد شارف الخمسين حين توجه إلى القدس من حلب، وذُكر أن ولاة بيت المقدس آنسوا منه شرف نفس وعلو همة، فأحبوه واشتملوا عليه (انظر معجم الأدباء 179/15، 188 وفوات الوفيات 3/ 117، 118)، وللقفطي مؤلفات وتصنيفات في التراجم وفي اللغة من هذه المصنفات: "أخبار النحويين، كتاب الإصلاح لما وقع من الخلل في كتاب الصحاح للجوهري، وكتاب الضاد والظاء. (فوات الوفيات 118/3)

ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد الوائلي البكري الأندلسي المعروف بالشريشي النحوي، ولد (601هـ) في الشريش، وطلب العلم في مراكز عديدة، وقد تولى مشيخة الحديث في القدس، وكان قد قدم فلسطين وهو مكتمل العلم، وذا خبرة في التدريس، من مصنفاته كتاب في الاشتقاق، وشرح ألفية بن معط. (بغية الوعاة للسيوطي 44/1)

ويلاحظ هنا أنه من الصعب تصنيف العلماء في تلك المرحلة، بمعنى أنه يصعب علينا أن نقول هذا مصري وذاك شامي، فالبلاد كانت مفتوحة، وقد شجع الولاة علماء الأمصار على الانتقال من مكان إلى آخر، وخاصة ما بين مصر وبلاد الشام ومنها فلسطين، ونقرأ عن كثير من مشايخ بيت المقدس، فنجد أنهم ذوو أصل مصري، أمثال: ابن الهائم المصري المقدسي، وزين الدين أبو بكر القمني المصري الخزرجي، ولي التدريس في المدرسة الصلاحية، وقاضي القضاة وشيخ الإسلام شهاب الدين أبو العباس أحمد الأموي المصري المشهور بابن المجمرة. (أشرنا إليهم في موضع سابق، وانظر المفصل في تاريخ القدس 237) وغيرهم كثيرون ،وفي المقابل تجد علماء ولدوا في فلسطين ورحلوا عنها إلى القاهرة أو دمشق اشتهروا بالبحث في علوم العربية، أمثال: عبد الله بن بري بن عبد الجبار، أبو محمد المصري، وهو ذو أصل فلسطيني، فأجداده من بيت المقدس (إنباه الرواة 110/2) نبغ في النحو وذاع صيته، وقيل: "لم يكن في الديار المصرية مثله". (معجم الأدباء 56/12)

ومن هؤلاء العلماء الفلسطينيين الذين برعوا في مصر أو في دمشق: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الذي تنقل ما بين القاهرة وصفد وحلب ودمشق. (سنتحدث عنه لاحقاً)

ثانيا: العلماء الفلسطينيون:

عند الحديث عن أعلام الفكر الديني واللغوي في فلسطين، فليس ثمة أفضل من الرجوع إلى كتاب مجير الدين الحنبلي (الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل) فقد ازدحمت صفحاته بمئات الأعلام ممن صنفوا في علم العربية، سواء من أهل بيت المقدس أو ممن أقاموا فيه واتخذوه موطناً، ونختار هنا نخبة من الأعلام في نهاية العهد الأيوبي وحتى نهاية القرن الثامن الهجري، ونبدأ بالقرن السابع الهجري فيطلع علينا شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الوالي بن جبارة المردوي المقدسي، ولد سنة 647هـ وتوفي بالقدس سنة 728هـ، ولقبه المردوي نسبة إلى بلدة قريبة من نابلس هي مردة أخذ العلم في صباه عن خطيب مردة، ثم رحل إلى مصر وفيها قرأ القراءات، وقرأ الأصول، وتعلم علم العربية على بهاء الدين ابن النحاس، فأخذ عنه الكتاب لسيبويه _إذ كان ابن النحاس مشتهرا بتدريسه كتاب سيبويه_ ثم قدم المردوي إلى دمشق، واستوطن أخيراً في بيت المقدس، وتصدر لإقراء القراءات العربية، وانتهت إليه مشيخة بيت المقدس، واشتهر بأنه مقرئ مفسر، فقيه، أصولي، نحوي.

ومن مصنفات المردوي: شرح القصيدة الشاطبية في القراءات السبع، وشرح ألفية ابن معط المسماة الدرة الألفية في علم العربية في النحو، وله كتاب فتح التقدير في التفسير

(انظر شذرات الذهب 87/6 والأنس الجليل 258/2)، وله مختصر في كشاف الزمخشري، ذكره بروكلمان وأورد رقم المخطوطة: في دمشق عمومية 12رقم 106 (تاريخ الأدب العربي، بروكلمان القسم الثالث 226/5)

ومنهم أحمد بن محمد بن علي بن الرصاص (ت 658هـ) وقد اهتم بالنحو، ومن مصنفاته منهج الطالب في شرح كافية ابن الحاجب مخطوطة في: ميونخ كان 163 (المرجع السابق القسم الثالث275/5)

ومنهم المفضل بن علي المقدسي: ذكر بروكلمان له رسالة في الاسم واللقب والنسبة تحت باريس / 4256، وقد توفى سنة 643هـ. (المرجع السابق القسم الثالث 275/5)

أما عن علماء القرن الثامن الذي ازداد فيه الاهتمام بالعلوم ازدياداً مطرداً لاسيما الاهتمام بعلوم العربية، فقد نشط في هذا القرن كثير من العلماء المشتغلين باللغة وعلومها ومن هؤلاء:

أبو العباس شهاب الدين أحمد بن حسين، المشهور بابن الرصاص (ت790هـ) كان إماماً كبيراً في الفقه الحنفي ،وكان يلقب النحوي، وله شرح على ألفية ابن مالك. (الأنس الجليل2/ 218)

ومن أعلام هذه المرحلة أيضاً صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت764هـ) وهو أديب ومؤرخ وشاعر وعالم في اللغة وعلومها، ولد في صفد، وأبوه الأمير عز الدين أيبك من المماليك الأتراك، رحل إلى دمشق، وتلقى على أعلامها المشهورين، أخذ اللغة عن أبي حيان الأندلسي، ويعد في طليعة كتاب القرن الثامن الهجري، وهو صاحب أسلوب كتابي بعيد عن القيود التي التزمها سابقوه، وترك تراثاً ضخماً ممثلاً في كتب مطبوعة ومخطوطة، أكثرها في الأدب والتاريخ" (انظر مقدمة الغيث المسجم، 7، 8) ومن مصنفات الصفدي كتابان مهمان يكشفان عن شخصية لغوية متميزة: أولهما كتاب الغيث المسجم في شرح لامية العجم، وهو كتاب يشرح فيه لامية الطُغرائي شرحاً وافياً أدواته الدلالة والنحو والصرف، وهذا الشرح يعد من أفضل شروح هذه اللامية، وقد تميز شرحه بالإسهاب حيث يشرح الصفدي فيه البيت الواحد في أكثر من عشر صفحات أحياناً ثم يعود إلى إعرابه، ولا ينسى الصفدي أثناء شرحه القراءات القرآنية أيضاً، ومن ذلك تعرضه لقراءة ابن كثير وعاصم (يُسبَّح له فيها بالغدو والآصال، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)

(سورة النور، آية 36) بضم الياء في يُسبح، وفتح الباء على مالم يسم فاعله، وبدأ في تخريجها بشكل عجيب دون أن يذكر أصحاب هذه الآراء وينقلك في أثناء ذلك من حكاية إلى أخرى، لتعلم حينها مدى علم هذا الرجل وسعة معرفته. (انظر هذه المسألة في الغيث المسجم في شرح لامية العجم، 1/ 400،397)

وثاني هذين الكتابين كتاب تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، وهو من أجود الكتب المعجمية التي تكشف عن سمات صاحبها، ولهذا الكتاب أهمية جليلة بينها المؤلف في مقدمة كتابه هذا حيث ذكر أن الناس جميعاً، مهما أوتوا من علم، يقعون في التصحيف والتحريف، وأنه لم يخلُ منه أحد الأئمة في البصرة أو الكوفة، كالخليل بن أحمد، وأبي عمرو بن العلاء، والكسائي، والفراء، حتى الرواة للشعر كحماد الراوية كلهم وقعوا في التصحيف والتحريف مما يدل في رأي الصفدي على أهمية الكتابة في هذا المجال.

(انظر تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، الصفدي 4 – 7)

ومن علماء هذا القرن أيضاً، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الفقيه حسين بن علي بن أرسلان الرملي المقدسي، ولد في الرملة سنة 775 هـ، أقام بالزاوية الحنفية في القدس، وألف كتباً منها: شرح جمع الجوامع، ومختصر ابن الحاجب، وأعرب الألفية وشرح ملحة الحريري، توفي سنة 844 هـ.

لا ننسى في هذا المقام هذه الشخصية العلمية المتميزة، التي تجسد النمط الموسوعي للعلماء في هذا العهد، إنه أحمد بن محمد بن عماد المشهور بابن الهائم المصري المقدسي (753هـ _ 815هـ) ولد في القاهرة، ومهر في الفرائض والحساب ثم رحل إلى القدس، ودرَّس فيها، وصار من الشيوخ المقادسة مسموعي الكلمة حتى لقب بشيخ الإسلام، توفي في القدس ودفن فيها. (انظر الأنس الجليل 2/ 110، 111, الضوء اللامع 2/157، 158) وقد مهر ابن الهائم في النحو وله فيه مصنفات كثيرة منها: منظومة بغرض التعليم ،حيث نظم ابن الهائم كتاب

(الإعراب عن قواعد الإعراب لابن هشام) شعراً، والكتاب مخطوطة موجودة في برلين تحت بند 6718، وفي القاهرة ثان 125، وقد ألف هذه المنظومة سنة (795هـ) (انظر تاريخ الأدب العربي بروكلمان القسم الثالث 83/6)

ومن أعلام هذا القرن العلامة شمس الدين العيزري محمد بن محمد بن خضر بن شمري بن أبي العدل، يعود نسبه إلى بني عقيل بن مرة ويمتد إلى الزبير بن العوام، وُلد في القدس سنة (724هـ) أخذ اللغة والقراءات عن علماء القاهرة ورجع إلى غزة ثم زار دمشق وأخذ عن شيوخها، وله مصنفات كثيرة في الفقه والأصول والحديث والعربية ومن هذه المصنفات في علم العربية: سلسال الضرب في كلام العرب، وتوضيح مختصر ابن الحاجب، وبلغة ذوي الخصاصة في حل الخلاصة لابن مالك، والمناهل الصافية في حل الكافية لابن الحاجب. (انظر بغية الوعاة 222/1، 223).

المصنفات اللغوية في فلسطين في هذين القرنين وخصائصها

عرفنا سابقاً كيف نال علم العربية عناية ملحوظة في العهدين الأيوبي والمملوكي، ومن دلائل هذا الاهتمام كثرة التآليف فيهما، واستطعنا من خلال ترجمة لبعض العلماء من النحويين واللغويين أن نلاحظ أنهم لم يكتفوا بدراسة كتب غيرهم وتدريسها، بل تصدوا للتأليف، وكتابة الشروح والحواشي، وإن كان غالب هذه التآليف قد جاء بغرض التعليم والتدريس في ميدان النحو، يقول بروكلمان: "ولكن المادة التي جمعها سيبويه، ومن جاء بعده قد تعاورها العلماء في هذه الفترة ـ ما بعد القرن الخامس ـ بالتبويب والعرض في أشكال مختلفة، فألفت الشروح وشروح الشروح، والمختصرات، ومختصرات المختصرات التي اختفى منها الكثير" (تاريخ الأدب العربي، بروكلمان القسم الثالث 5/ 163) وقد أشار في موضع آخر إلى أن المشتغلين بالعربية اهتموا بالنحو خصوصاً، وبالتأليف المعجمي إلى جانب وضع المتون وتأليف المنظومات وشرحها وعمل الحواشي (انظر المرجع السابق القسم الثالث 4/5) ويرى الأستاذ على النجدي أن الحركة النحوية بعد سيبويه كانت: "حركة دائبة ولكنها رحوية

دائرية تتكرر وتتزّيد، وتختصر مطولا، وتطيل مختصراً، وتشرح متناً، وتعلق على شرح". (سيبويه إمام النحاة، على النجدي35)، والحقيقة أن هذا الحكم يتناول فترة طويلة من زمن التأليف النحوي، ويعمّم عليها القول بأكملها ابتداء بمعظم علماء المدرستين البصرية والكوفية الذين استوت الآراء النحوية بمجهوداتهم على سوقها بدءاً بالمبرد والفراء والزجاج ومن جاء بعدهم وصولاً إلى فترتنا هذه، وهذا الحكم أثبتت معظم الدراسات اللغوية والنحوية خلافه، بل ونؤكد أن ما وصل إلينا من مصنفات أولئك العلماء يثبت أن لديهم جديداَ، وحسبنا من ذلك تطبيقات بعض هؤلاء العلماء للقواعد النحوية والصرفية على نصوص لغوية مختلفة وربطها بمسائل فقهية وأصولية وغيرها كما سنرى ذلك عند الكيكلدي في كتابة الفصول المفيدة في الواو المزيدة. (انظر الدراسة التطبيقية من البحث).

ولعل من أهم ما يميز هذه الدراسات اللغوية في هذه الفترة الزمنية ارتباطها المباشر بعلوم الدين وليس ثمة شك أيضاً من ارتباطها المباشر بعلم القراءات، وتتضح هذه العلاقة من خلال معرفتنا بتراجم القراء في المسجد الأقصى، فقد كان أكثر هؤلاء القراء نحويين فقهاء أصوليين (انظر الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى 144).

فمثلاً تجد المقرئ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الوالي المقدسي نحوياً فقيهاً (انظر غاية النهاية 72/1)، ومثله سراج الدين عمر بن على بن محمد الجعبري الخليلي كان مقرئاً في الخليل وبيت المقدس اهتم بدراسة النحو، فقرأ الملحمة، ومقدمه ابن الحاجب وألفية ابن مالك (الضوء اللامع 120/6) وتبدو هذه الصلة وثيقة أيضاً من سيرة الأردبيلي الشافعي المقرئ، درّس القراءات والألفية ولامية التصريف وغيرها (الأنس الجليل 212/2)

وهناك خاصية مهمة ينبغي الإشارة إليها، تشكلت هذه الخاصية من خلال عمل هؤلاء العلماء بالتدريس، فغلبت على مصنفاتهم سمة التعليم، يقول د. عبد الجليل: "وتبدو النزعة التعليمية لدى هؤلاء المصنفين المشتغلين بالتدريس في شروح مصنفاتهم وغيرها".

(المدارس الفكرية 86) ولعله من المناسب هنا أن نجمل أهم هذه المصنفات التي اتسمت بالخصائص المتوائمة مع طبيعة التدريس والتعليم:

1-تحفة الطلاب ونظم قواعد الإعراب، وكتاب السماط، والضوابط الحسان فيما يقوم اللسان. لابن الهائم المصري المقدسي (ت 815هـ)

2- بلغة ذي الخصاصة في حل الخلاصة ، والمناهل الصافية في حل الكافية، وهما من مصنفات الشيخ محمد بن محمد الأسدي المقدسي

3- رسالة الاسم واللقب والنسب للفضل بن علي المقدسي، ذكره بروكلمان.

4ـ شرح العزًّي في التصريف، أبو العزم محمد بن محمد الحملاوي (كشف الظنون 2 /1797)

5-شرح قواعد الإعراب في عشر كراريس، لإبراهيم بن محمد بن أبي بكر القدسي (شذرات الذهب 118/8).

6- شرح ملحة الإعراب للحريري

7- إعراب الألفية.

8- شرح طيبة النشر في القرارات العشر(الأنس الجليل 175/2)

9- كتابان في النحو، وهما شجرة في النحو وأخرى في الصوف لأبي اللطف الحصكفي وهما من الكتب الجيدة (الضوء اللامع 221/8)

10- الجوهرة في النحول للجزري.

11- مرقاة اللبيب إلى علم الأعاريب، إبراهيم بن موسى الكركي (الكواكب السائرة)

12- المنحة النجمية في شرح الملحة البدرية

13- البهجة في النحو، وهما بنجم الدين العامري.

نظرة في المصنفات العربية التي لاقت عناية من لغويي فلسطين وعلمائها:

انكب العلماء في فلسطين على دراسة الكتب العربية الأولى، تلك التي كانت لها الريادة في علم العربية، ومن خلال تفحص سير هؤلاء العلماء من بداية القرن السابع حتى نهاية القرن الثامن نجد أن أهم هذه الكتب التي لقيت عناية الدارسين والمدرسين:

أولاً: الكتاب لسيبويه: وهو المصنف الأول في علم العربية، والملاحظ أن المشتغلين بعلم النحو في فلسطين لم يتعرضوا لهذا الكتاب بالشرح أو الاختصار أو وضع الحواشي، وإنما كانت عنايتهم به دراسة وحفظاً له ولشرح السيرافي، على خلاف ما حدث لغيره من كتب النحو الأصول.

ثانياً: ألفية ابن مالك: وقد نالت هذه الألفية، شهرة واسعة وحظيت باهتمام بالغ من أهل العلم في فلسطين، شرحها كثيرون منهم محمد بن محمد الأسدي المقدسي في كتابه (بلغة ذي الخصاصة في حل الخلاصة)، وأعربها آخرون مثل شهاب الدين أحمد بن الفقيه_الرملي المقدسي (ت 844هـ)، إضافة إلى من حفظها وهم كثيرون (المدارس في المسجد الأقصى 80، 81) فحين تستعرض سير أعلام الفقه والقراءات والحديث وغيرها تجد في سيرهم عبارة مكررة عن اختصاصاتهم، فالعالم منهم فقيه مفسر، ومحدث حفظ الألفية، ولعله قام بتدريسها وتمثلها في محاضراته وشرحه لعلمه الذي يدرسه، فهذا شهاب الدين أحمد بن الحسين بن أرسلان الرملي المقدسي "لزم عالماً مغربياً أخذ عنه الألفية، وأصبح أهلاً لإقرائها، وكان يدفع ربع درهم مقابل قراءة كل بيت من الألفية" (الضوء اللامع 282/1)

ثالثاً: شرح شذور الذهب، وكتاب قواعد الإعراب لابن هشام: وقد حظي هذا الكتابان بكثير من الشروح والحواشي والتعليقات، فممن اهتم بكتاب شرح الشذور شمس الدين محمد بن أحمد الأنصاري، وبدر الدين بن حسن بن أبي بكر المقدسي المعروف بابن بقيرة حيث صنف حاشية على شرح ابن هشام لكتاب الشذور وسماها: شرح الصدور بشرح زوائد الشذور (انظر المدارس في المسجد الأقصى 85/ 86)

رابعاً: ومن كتب التصريف التي نالت عناية فائقة في فلسطين، **كتاب العزيّ في التصريف الذي ألفه عز الدين أبو الفضائل عبد الوهاب الزنجباني المتوفى** (655هـ) (انظر تاريخ الأدب العربي القسم الثالث 5/ 183) عنى به جماعة من العلماء في بيت المقدس منهم أبو الفداء إسماعيل بن جماعة الكناني المقدسي (المدارس في المسجد الأقصى 85)، وهناك أيضا حاشية على شرحه لشمس الدين محمد الغزي. (انظر تاريخ الأدب العربي القسم الثالث 185/5)

خامساً: الكافية والشافية لابن الحاجب ولعلهما من أكثر الكتب النحوية والصرفية التي لقيت عناية علماء النحو ومدرسيه في فلسطين، فقد درست الكافية في المدرسة المعظمية في بيت المقدس (المدارس في المسجد الأقصى)، وبينّا فيما سبق شروحاً على هذين الكتابين أعدهما علماء من فلسطين في هذين القرنين.

سادساً: ومن هذه الكتب أيضاً، **شرح ملحة الإعراب للحريري**، حفظها كثيرون، واعتنى بشرحها آخرون منهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن أرسلان الرملي، ودرَّسها العلماء كأبي بكر عبد الله بن محمد القلقشندي، ومما يذكر أن مجير الدين الحنبلي حصل على الإجازة في ملحة الإعراب (الأنس الجليل لمجير الدين 2/ 189)

سابعاً: ومن هذه الكتب **ألفية ابن معط في النحو** وهي المسماة الدرة الألفية في علم العربية، وهي لأبي زكريا يحيى بن عبد المعطي الزواوي الجزائري اشتهر بالتعليم والتأليف، وتوفي (628هـ)، له مؤلفات أخرى منها: حواشي على أصول ابن السراج في النحو، والعقود والقوانين في النحو (انظر بغية الوعاة 344/2) والمطلع على الحركة اللغوية في فلسطين يرى مدى اهتمام العلماء بهذه الألفية، فقد رأينا اسم الألفية عشرات المرات، في أثناء البحث عن شخصيات الحركة اللغوية والنحوية في فلسطين.

دراسة تطبيقية على كتاب "الفصول المفيدة في الواو المزيدة" للكيكلدي العلائي

المؤلف حياته ونسبه:

هو صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي العلائي, ولد بدمشق سنة 649هـ، أبوه أمير، وأمه تنتمي إلى بيت علم, وسمت همته إلى طلب العلم, فحفظ القرآن, وتعلم الفقه والنحو والاصول، برع في الحديث ومعرفة الرجال والمتون والعلل، سمع صحيح مسلم وصحيح البخاري، وبدأ في سنة 704 للهجرة بقراءة العربية، وجدّ في طلب الحديث، وكان ممن تلقى العلم على أيديهم الشيخ أبي بكر بن عبد الدائم المقدسي المتوفى سنة 718هـ، حفظ مختصر ابن الحاجب، ومقدمتين في النحو والتصريف، ثمّ رحل بصحبة شيخه الزملكاني إلى القدس، وقد بلغ عدد شيوخه بالسماع سبعمائة.

كان العلائي إماماً في الفقه والنحو والأصول من الحفظة للحديث الشريف، فأخذ يفتي ويدرس، ويصنف، وانتفع منه خلق كثير، درس الحديث بالمدرسة الناصرية بدمشق، ثم انتقل إلى المدرسة الصلاحية بالقدس سنة 731هـ، وبقي بها إلى أن مات عن سبعة وسبعين عاماً، ودفن فيها عام (761هـ)، وللعلائي مصنفات كثيرة منها ما هو في الحديث والأصول والتفسير، ومنها ما هو في النحو، وإن كانت قليلة، وكلها تدل على سعة علمه وغزارة معارفه. (انظر ترجمته في شذرات الذهب 190/6، والبداية والنهاية 267/14، والأنس الجليل 106/2_ 107).

زمن تأليف الكتاب ومكانه:

يبدو أنه من المؤكد أن كتاب الفصول المفيدة في الواو المزيدة تم تأليفه في بيت المقدس، وفرغ المؤلف من تأليفه سنة ثمانٍ وأربعين وسبعمائة هجرية، وقد أشار المؤلف إلى ذلك في ختام كتابه، فقد ورد في آخر مخطوطة الكتاب "قال مؤلفه رحمه الله: فُرغ منه صبيحة يوم الجمعة العشرين من رجب سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بالبيت المقدس حماه الله تعالى." (الفصول المفيدة، 267) وعليه فقد تم تأليف الكتاب

في القرن الثامن الهجري في فلسطين في بيت المقدس حسب إشارة المؤلف، ويعضد قول المؤلف هذا ما أوردته كتب التراجم من أن المؤلف في هذه الفترة الزمنية كان مجاورا بيت المقدس مقيما فيها متعلما ومعلما. (الدارس 331/1، المدارس في بيت المقدس 31/2) وذلك في فترات متعددة وفي الفترة من (731هـ) إلى تاريخ وفاة المؤلف كان مدرسا في المدرسة الصلاحية في القدس. (انظر المرجعين السابقين)

وقد ورد في صفحة عنوان المخطوطة التي صورها المحقق "كتاب فيه الفصول المفيدة في الواو المزيدة تصنيف الشيخ الإمام العلامة فخر الحفاظ مفتي المسلمين لسان المتكلمين سيف المناظرين رأس المحققين فريد العصر ووحيد الدهر أبي سعيد خليل صلاح الدين بن الأمير الكبير كيكلدي بن عبد الله العلائي الشافعي قدّس الله روحه وبرّد ضريحه نزيل القدس الشريف حماه الله تعالى" (انظر الفصول المفيدة، 28، 29)

وصف الكتاب:

الكتاب مطبوع متداول في نحو ثلاثمائة صفحة منها فهارسه الفنية، والكتاب محقق بتحقيق الدكتور حسن موسى الشاعر، من منشورات دار البشير للنشر والتوزيع، مركز جوهرة القدس التجاري، العبدلي، عمان، الأردن.

وقد جاء الكتاب في مقدمة، وستة وثلاثين فصلاً، ويعتبر هذا الكتاب اسما على مسمى، إذ إنه عبارة عن فصول مفيدة يتحدث فيها المؤلف عن أنواع الواو بمزاوجة عجيبة بين علوم النحو والصرف والدلالة والفقه والأصول والتفسير مما يعطي هذا الكتاب نوعا من الفرادة والتميز في مجاله عن الكتب السابقة التي عد الحديث عن الواو جزاً منها.

موضوعات الكتاب:

يمكن عرض صورة مختصرة للموضوعات التي تناولها كتاب الفصول المفيدة على النحو التالي:

1- تحديد الخطوط العريضة لموضوع الكتاب: تحدث المؤلف عن الكتاب عموما بأنه "فصول عديدة، مباحثها مفيدة وعوائدها فريدة ومحاسنها في كل حين جديدة..." (الفصول المفيدة 35) لكن المؤلف في الفصل الأول بسط الحديث عن خطته في تناول موضوعات الواو في هذا الكتاب حيث حدد في بدايته أن "الواو على قسمين: أصلية وزائدة، والزائدة على ثلاثة أضرب: زائدة في بناء الكلمة تلزم حروفها غالبا، وزائدة بمعنى مقصود تزول الواو عن حروف الكلمة الأصول بزوال ذلك المعنى، وزائدة في أول الكلمة لا تعد من حروفها كواو العطف، وواو الحال، ونحوها..." (انظر المصدر السابق 38)، وبالنظر في الكتاب نرى المؤلف قد اهتم بدراسة هذه الموضوعات وشرحها والاستشهاد لها.

2- حديث عن الواو من الناحية الصرفية: فقد تساءل المؤلف عن الواو متى تكون أصلية ومتى تكون زائدة، واستعرض ذلك من الناحية الصرفية في الفصل الثالث (المصدر السابق 43)، فإذا كان مع الواو حرفان قضي عليها بالأصالة، إذ لا بد في الكلمة من ثلاثة أحرف وتقع حينئذ فاء وعينا ولاما نحو: وعد، وموت، ودلو...الخ. وأما الواو الزائدة التي تحدث عنها المؤلف كما ذكرنا في الفصل الأول على ثلاثة أضرب فمنها الواو الزائدة في بناء الكلمة، وهذه لها الفصلان الثاني والرابع حيث تحدث فيهما المؤلف بالتمثيل والاستشهاد عن مواضع الواو المزيدة صرفيا. (المصدر السابق 40، 48)

ويتبع حديثه عن الواو من ناحية صرفية شرحه عن النوع الثاني من الواو المزيدة بمعنى مقصود ويراها مثل واو الجمع، في ضربوا، والمسلمون، ومثل واو الاستنكار كما إذا قلت: جاء الحسنُ، فيقال لك: الحسنوه على وجه الاستنكار، والهاء للوقف (المصدر السابق 38)، وقد جعل لذلك الفصل الثالث.

3- **الواو من الناحية النحوية التركيبية:** وهو الضرب الثالث من أضرب الواو المزيدة التي ذكرها المؤلف باعتبارها الغرض الرئيس لهذا الكتاب يُتَصدّى لبسط الكلام فيه (المصدر السابق 37، وصرح المؤلف بذلك أيضا في الفصل الخامس 52) حيث تحدث عن بقية من أنواع الواو الزائدة في أول الكلمة لا تعد من حروفها كواو العطف، وواو الحال... ونحوها باعتبارها حرفا من حروف المعاني النحوية، وذلك على النحو التالي:

أ- **واو العطف:** ولعلها أكثر أنواع الواو حظا في التناول، فقد تحدث عنها المؤلف وعن أحوالها وأحوال ما قبلها وما بعدها نحواً, وخلافا نحويا، وشواهد (من القرآن والحديث والشعر), ودلالة في النحو، والفقه، والتفسير، وقد تتبع المؤلف ذلك من الفصل السادس وحتى نهاية الفصل العشرين. (انظر المصدر السابق من 55 إلى 154)

ب_ **واو الحال:** فقد تحدث المؤلف عن واو الحال باعتبارها وسيلة للربط في جملة الحال عند النحاة والأصوليين، وتناول مسائل فقهية في التفريع على واو الحال، وقد تحدث المؤلف عن هذه الواو في خمسة فصول هي من الفصل الحادي والعشرين إلى الفصل الخامس والعشرين.

ج- **واو الجمع:** وهي عنده الواو التي ينتصب بعدها المفعول معه وهي القسم الثالث بعد واو العطف وواو الحال، وقد ذكر المؤلف واو الجمع هذه أي واو المعية في مثل استوى الماء والخشبةَ في ثلاثة فصول من الفصل السادس والعشرين وحتى الفصل الثامن والعشرين، تحدث في هذه الفصول عن الواو قبل المفعول معه، وعن الناصب للمفعول معه، وعن النصب على المفعول معه قياسيا وسماعيا.

د- **واو الصرف:** وهذا النوع الآخر من واو المعية، الذي ينتصب بعدها الفعل المضارع، وهو مصطلح كوفي استخدمه المؤلف. وقد تحدث المؤلف حول هذه الواو في أربعة فصول من الفصل التاسع والعشرين وحتى الفصل الثاني والثلاثين.

وقد انتهى المؤلف بعد عرض هذه الأنواع من الواو الذي أخذ كما هو واضح الحيز الأكبر من الكتاب، فقال ملخصاً الموقف من هذه الأنواع في الفصل الثالث

والثلاثين: إن هذه الأنواع الأربعة من الواو يجمعها عامل مشترك هو دلالتها على مطلق الجمع.

هـ- واو القسم: وهي النوع الخامس من أنواع الواو ذكرها المؤلف في الفصل الرابع والثلاثين، تحدث فيه عنها وعن القسم، وعن أن الباء هي أصل حروف القسم والواو بدل منها ولم يتحدث عن بقية حروف القسم لأنها ليست موضوع هذا الكتاب، وتحدث عن استخداماتٍ لهذا الأسلوب، وشواهد في المضمار.

و- واو رب: تحدث عنها باعتبارها النوع السادس من أنواع الواو، وقد ذكرها وتحدث عن الأحكام المتعلقة بها مستعرضا شواهد ذلك في الفصلين الخامس والثلاثين والسادس والثلاثين، ثم ختم الكتاب.

منهج المؤلف:

1- **تقسيم الكتاب إلى فصول:** حيث إننا بالتصفح الأوليّ للكتاب نجد المؤلف قد قسمه إلى ستة وثلاثين فصلا، وكل فصل له عنوان خاص به، يتحدث تحته المؤلف عن موضوع محدد، يتصل بموضوع الكتاب الرئيس، وقد تحدثنا عن هذه الفصول عند استعراضنا موضوعات الكتاب بما لا داعي لإعادتها بشكل آخر هنا.

2-الاختصار وعدم الاستطراد:

فقد اختار المؤلف موضوعا محددا لكتابه، له بداية ونهاية مختصا في أنواع الواو المزيدة، والتزم المؤلف بذلك التحديد، لم يخرج عنه فهو في الفصل الأول تحدث عن أقسام الواو الزائدة حددها كما ذكرنا من قبل، وبدأ بشرح هذه الأقسام من الواو المزيدة واحداً واحداً، وإن تفاوت حديثه عن كل قسم من أقسام هذه الواو طولا وقصرا حسب طبيعة الموضوع، فمثلا تجده في الفصل الأول يتحدث عن أقسام الواو إلى أصلية وزائدة، والزائدة على ثلاثة أضرب..، ثم في الفصول الثاني والثالث والرابع يتحدث عن الواو الأصلية والزائدة في بنية الكلمة أي من الناحية الصرفية، وعن الواو الزائدة لمعنى مقصود.

وفي الفصل الخامس يتحدث عن أقسام الواو الزائدة في أول الكلمة لا تعد من حروفها ويذكر أنوعها (واو العطف، واو الحال، واو القسم، واو رب, واو الجمع "أي واو المفعول معه"، واو الصرف "التي ينتصب المضارع بعدها وهي عند البصريين واو المعية") وشرح هذه الأنواع الستة يشكل بقية الكتاب بل معظم الكتاب، وقد تبين في حديثنا عن موضوعات الكتاب مدى عناية المؤلف بهذه الأنواع الستة طولاً وقسراً من ناحية الشرح والتناول فأكثر مثلاً في تناول واو العطف من الفصل السادس وحتى نهاية الفصل العشرين، واختصر في فصل "واو رب" فتناولها فقط في الفصل السادس والثلاين.

وفي كل هذه الفصول فإن المؤلف لم يخرج عن الموضوع ولم يستطرد بعيداً عنه، فيتحدث في موضوعات أخرى كغيره من المؤلفين، فمثلاً عند حديثة في الفصل الرابع والثلاثين عن واو القسم تحدث عن القسم وحدِّه لغةً، وعن حدِّه في اصطلاح النحاة، ثم تحدث عن أن الأصل في حروف القسم الباء وأن أفعال القسم كلها لازمة، والباء هي المعدية لها إلى ما بعدها وأما الواو فإنها بدل من الباء، ومن هنا بدأ الحديث عن واو القسم مع أمثلة وشواهد في هذا المجال، ولم يتحدث عن حروف القسم الأخرى فقال "وللقسم أيضاً حروف أخر لا تعلق لها بما نحن فيه فلذلك لا حاجة بنا إلى ذكرها، وكذلك الجمل التي يجاب بها القسم ومواضعها وشروطها إذ لا اختصاص بها للواو... وإنما يتكلم فيما يختص بالواو..." (المصدر السابق 242).

ومثل ذلك فعل في واو العطف التي أكثر الحديث عنها فجل حديثه حولها وحول دلالاتها, واستخداماتها، والخلاف النحوي حولها وما يسبقها وما يأتي بعدها. (انظر المصدر السابق من الفصل السادس إلى الفصل العشرين)

3-تعريف المصطلحات النحوية: خلال حديث المؤلف عن أنواع الواو المختلفة كان يأتي بالمصطلح النحوي ويقوم بتعريفه ، فقد ذكر في الفصل الخامس واو الجمع

وواو الصرف وعرفهما بالتمثيل لهما فالأولى، مثل: استوى الماء والخشبة والثانية، مثل: لا تنه عن خلق وتأتي مثله

ثم عاد وعرّف كل منهما في فصلين مختلفين، ففي الفصل السادس والعشرين واو الجمع: التي ينتصب بعدها المفعول معه والواو هنا جامعة غير عاطفة وأصل ما بعدها أن يكون معطوفاً ولكنه عدل به إلى النصب لما لحظ فيه من معنى المفعول به (المصدر السابق 188). وفي الفصل التاسع والعشرين والفصل الثلاثين واو الصرف هي التي ينتصب بعدها الفعل المضارع، وهو كما يذكر المؤلف مصطلح كوفي يعني أن النصب بعدها على المخالفة ذلك أن معنى الثاني مخالف لمعنى الأول (المصدر السابق 218)

وأوضح من ذلك عند تناوله واو القسم في الفصل الرابع والثلاثين عرف القسم لغة فهو: اسم أقيم مقام المصدر وكثر استعماله فيه, والفعل أقسم ومصدره الحقيقي الإقسام (المصدر السابق 235), وعرف القسم في اصطلاح النحاة بقوله: "وحقيقة القسم عند النحويين ضم جملة خبرية إلى مثلها تكون كل منهما فعلية أو اسمية أيضاً تؤكد الثانية بالأولى متضمنة اسماً من أسماء الله تعالى أو صفه من صفاته. وربما كان ذلك باسم غيره من ما يعظمه المقسم وتكون اليمين لغوية لا شرعية (المصدر السابق 238).

وأما في الاصطلاح الشرعي فالقسم كما ذكره: "عبارة عن تحقيق ما يحتمل المخالفة, أو تأكيده بذكر اسم من أسماء الله تعالى, صفة من صفاته (المصدر السابق 238).

4-مزج النحو بالصرف: فبالنظر إلى موضوعات الكتاب نجده قد تحدث عن الواو من الناحية الصرفية في الفصل الثالث من ناحية الأصالة والزيادة، وتحدث في الفصل الأول عن الواو الزائدة في بناء الكلمة.... وفي معظم فصول الكتاب تحدث عن الواو باعتبارها من حروف المعاني النحوية، فذكر واو العطف، وواو الحال، وواو القسم، وقد ذكرنا ذلك عند الحديث عن موضوعات الكتاب مما يغني عن تكراره هنا.

5-الربط بين النحو والدلالة مع تأثره الواضح بالفقه والأصول: لا ينفك المؤلف في حديثه عن أنواع الواو والعمل النحوي من الحديث عن دلالات هذه الواو ومعانيها رابطا هذه الدلالة بعلمي الفقه والأصول. فقد تحدث مثلا عن معاني واو المفعول معه (انظر المصدر السابق 188 وما بعدها)، ومعاني الواو التي ينتصب بها الفعل المضارع (انظر المصدر السابق 207 وما بعدها)، وعن معاني واو العطف (انظر المصدر السابق 55 وما بعدها)، وعن معاني واو الحال (انظر المصدر السابق 155 وما بعدها)، ثم أفرد بعد ذلك الفصل الثالث والثلاثين تحدث فيه عن المعنى الجامع لهذه الأنواع الأربعة من الواو وهو مطلق الجمع (انظر المصدر السابق 133 وما بعدها).

وأما عن تأثره الواضح في الدلالة بعلمي الفقه والأصول، وذلك زيادة على ما ذكرناه عند حديثه عن القسم لغاً واصطلاحاً عند النحويين، وفي الشرع، فقد أفرد الفصل الرابع والعشرين للحديث عن استعمال واو الحال عند الأصوليين فذكر معانيها عندهم وناقشها (المصدر السابق 178 وما بعدها).

وأما الفصل الخامس والعشرون فقد كان مسائل فقهية في التفريع على واو الحال منها قول الحنفية: إذا قال لعبده أدِّ إليَّ ألفاً وأنت حرٌّ. أو قال لحربيٍّ: إنزل وأنت آمنْ. لا يعتق العبد ما لم يؤدِّ، ولا يأمن الكافر ما لم ينزل (انظر المصدر السابق 183 وما بعدها).

5- ذكر أقوال النحاة مع عزوها إلى أصحابها، وترجيحه لبعضها، وتضعيفه للبعض الآخر: فالمؤلف في كتابه يهتم عند الحديث عن مسالة نحوية ما بذكر أقوال النحاة فيها مرجحاً أو مضعفاً لها، وخير مثال على ذلك الفصل السابع والعشرون (المصدر السباق 194) تحدث فيه عن الناصب للمفعول معه ذاكراً خمسة أقوال للنحاة فيه: الأول: مذهب سيبويه وجمهور المحققين أن نصبه بالعامل فيما قبله من الفعل أو ما في معناه بوساطة الواو، فهي التي صححت وصول الفعل إلى ما بعدها كما في همزة النقل والتضعيف، والباء المعدية

ونحو ذلك. والثاني: قول أبي الحسن الأخفش وجماعة معه أن الناصب فيه على الظرف لأن الواو قائمة مقام مع، وكانت منتصبة على الظرف فلما وضعت الواو موضعها فلم يكن إثبات الإعراب منها، كان ذلك فيما بعدها فانتصبت على الظرفية ونظيره جعلهم إلا مكان غير كما في قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) (سورة الأنبياء آية 22) لأنه كانت "غير" مرفوعة فلما وضعت "إلا" مكانها لم تصلح للرفع، ارتفع ما بعدها على ما كانت غير مرتفعة به وهو النعت. القول الثالث: قاله الزجاج أنه منصوبٌ بفعل محذوف يدل عليه السياق ففي مثل استوى الماء والخشبة، يقدر ولابس الخشبة. والرابع: وهو مذهب الكوفيين أنه منصوب على الخلاف، لأن الاستواء مثلاً منسوب إلى الخشبة وكان حقه استوى الماء والخشبة بالرفع فلما خالفة صار التقدير ساوى الماء الخشبة. والخامس: قاله الجرجاني أن الناصب له الواو وحدها، لأن صحة الكلام لما دار مع الواو وجوداً وعدماً دل على أنها هي العاملة كإلا في الإستثناء. قال المؤلف عن هذا الرأي هو أضعف هذه المذاهب أما أولاً فلأنه منتقضٌ بالتضعيف، وبهمزة النقل والتعدية لأن صحة الكلام في النصب دائرة مع هذه وليس شيء منها عاملاً... وأما في رده على بقية الآراء فقد قال المؤلف عن مذهب الأخفش أنه يرد عليه أن الأسماء المنتصبة هنا ليست ظروفاً ولا تصلح معه بالاتفاق، فكيف تنصب على الظرفية؟... وأما مذهب الكوفيين فينتقض بالعطف الذي فيه المخالفة مثل : قام زيدٌ لا عمروٌ. ونظائر ذلك مما لم يقتضِ الخلاف فيه نصباً، فدل على أن المخالفة لا أثر لها... فهو هنا إذن مؤيد لمذهب سيبويه ومن معه ممن وصفهم المؤلف بجماعة من المحققين, مخالفٌ لما عداه كما ذكر مفنداً.

العلماء الذين أخذ عنهم وصرح بذكرهم:

تتعدد العلماء الذين أخذ عنهم الكيكلدي، وتنوعت مشاربهم واختصاصاتهم فهم من النحاة واللغويين والقراء والادباء الرواة، وعلماء الحديث والفقهاء والمفسرين.

وقد نقل من النحاة واللغويين عن أبي عمرو بن العلاء والأصمعي والخليل وسيبويه والأخفش والمبرد وأبي سعيد السيرافي والكسائي والفراء والزجاج وأبي علي الفارسي وابن جني والزمخشري وابن مالك وابن الحاجب وأبي القاسم السهيلي وعبد القاهر الجرجاني وابن درستويه والأزهري وغيرهم.

وقد أخذ في التخصصات الأخرى عن الشافعي، وأبي حنيفة، وأبي يوسف، والحاكم النيسابوري، وإمام الحرمين (الجويني)، والفخر الرازي، وغيرهم.

ولعل من أكثر علماء النحو واللغة الذين أخذ عنهم المؤلف:

اسم العالم الذي أخذ عنه	**عدد المرات**
سيبويه	29 مرة
ابن مالك	17 مرة
أبوعلي الفارسي	16 مرة
عبد القاهر الجرجاني	11 مرة، ثم الفصل (23) ملخص كلامه في سر الربط بواو الحال.
السهيلي	8 مرات
ابن الحاجب	7 مرات
الزمخشري	6 مرات
الأخفش	6 مرات
المبرد	5 مرات
الزجاج	4 مرات
أبو عمرو بن العلاء	4 مرات

أبو سعيد السيرافي	4 مرات

مصادره التي أخذ عنها:

تنوعت مصادر المؤلف، والكتب التي أخذ عنها بتنوع العلماء الذين أخذ عنهم، فقد ذكر كتباً في النحو واللغة والتفسير والحديث والأصول.

فقد ذكر المؤلف من كتب النحو اللغة:

الكشاف للزمخشري	**5 مرات، باعتباره تفسيراً يهتم بالنحو واللغة.**
كتاب سيبويه	4 مرات
التسهيل لابن مالك	3 مرات
العين للخليل	مرتان
المحكم لابن سيده	مرة واحدة
المفصل للزمخشري	مرة واحدة
نتائج الفكر للسهيلي	مرة واحدة
الكافية لابن الحاجب	مرة واحدة
شرح المفصل لابن يعيش	مرة واحدة
الحروف للفارابي	مرة واحدة
شرح الجمل للخفاف	مرة واحدة

مسائل الخلاف وموقفه منها:

يهتم المؤلف كثيراً بالخلاف النحوي وذكر آراء النحاة وذكر مذهب البصريين والكوفيين محللاً ومرجحاً، ومضعفاً، ومن هذه المذاهب الخلافية على سبيل المثال لا الحصر: – إذ لا يكاد فصلٌ يخلو من الخلاف النحوي عند المؤلف – منها: الخلاف حول العامل في المعطوف على ثلاثة آراء ذكرها المؤلف: أحدها وهو قول سيبويه، وجمهور المحققين أن العامل فيه العامل في المعطوف عليه، فإذا قلت ضربت زيدا وعمراً فقد انتصبا جميعاً ب "ضربت" والحرف العاطف دخل بمعناه وشرّك بينهما،

وإنما عمل الفعل فيهما بواسطة حرف العطف، والثاني قول أبي عليٍ الفارسي وأبي الفتح ابن جني من أن العامل في المعطوف حرف العطف؛ لأنه ينوب عن العامل ويغني عن إعادته، وهو اختيار ابن السراج أيضاً، والثالث أن العامل في المعطوف فعل محذوف مقدر بعد حرف العطف من جنس الفعل العامل في المعطوف عليه وحرف العطف دال على ذلك المقدر، وذكر عن ابن يعيش أن هذا اختيار الفارسي وابن جني وهو الأصح عنهما، واختاره السهيلي في نتائج الفكر.

ومن ذلك أيضاً الخلاف النحوي بين الكوفيين والبصريين في ناصب المفعول معه، وقد ذكرناه سابقاً.

ومنه أيضاً إيراده الخلاف بين البصريين والكوفيين حول واو رب، فالذي ذهب إليه جمهور البصريين ومن بعدهم أن الجر برب مضمرة بعد الواو، لا بالواو نفسها بل هي عاطفة، ولذلك لم يعدها سيبويه في حروف الجر. وذهب المبرد والكوفيون إلى أن الواو هي الجارة لكونها عوضاً عن رب كما في واو القسم... وظاهر كلام ابن الحاجب اختيار هذا القول، لأنه عدها من جملة الحروف الجارة. ويعقب المؤلف على الرأيين بقوله: "وكلٌ من القولين محتمل، وإن كان الأظهر قول البصريين" (انظر الفصول المفيدة 248).

مذهبه النحوي: يعد المؤلف في كتابه الفصول المفيدة من العلماء الذين أخذوا عن النحاة السابقين فخلطوا بين المذهبين البصري والكوفي، وإن كان في معظم آرائه النحوية يميل إلى المذهب البصري ومن ملامح ذلك عدة أمور:

1-تأييده لمذهب البصريين في كثير من المسائل: فإذا كان المؤلف في كتابة قد اهتم بعرض مسائل الخلاف حول أنواع الواو المزيدة بين النحاة عموماً، وبين البصريين والكوفيين على وجه الخصوص، فإننا نجده في كثير من هذه المسائل يميل إلى الرأي البصري من ذلك:

أ- موافقته لرأي البصريين في أن الناصب للفعل المضارع بعد واو المعية "واو الجمع" هو "أن" المضمرة وقد عزا المؤلف هذا الرأي للخليل وسيبويه وجمهور أصحابهما "أي البصريين" (المصدر السابق 217)، ثم إن المؤلف ذكر أن الكوفيين

ومن تبعهم من البغداديين يرون أن النصب هنا على الخلاف، ويسمونه الصرف، وتسمى الواو عندهم واو الصرف، ويرد المؤلف هذا الرأي ولا يقبله، لأن الخلاف لا يقتضي إعراباً ولو كان كذلك لاطرد وانتصب ما بعد لا العاطفة ولكن العاطفة وغيرهما لما في ذلك من خلاف. (انظر المصدر السابق 218)

ب- قَبِل المؤلف كما تقدم رأي البصريين في أن الفعل بوساطة واو الجمع نصب المفعول معه وعزاه إلى سيبويه ومعه جمهور المحققين، ورد أيضاً رأي الكوفيين بأن الناصب للمفعول معه الخلاف (انظر الفصول المفيدة 197).

2-مساواته أحيانا لرأي البصريين والكوفيين في مسألة ما مع ميله إلى البصريين: من ذلك ما تقدم في الخلاف حول واو رب حيث نقل المؤلف رأي البصريين بأن الذي يجر الاسم بعد واو رب، هو رب مضمرة بعد الواو، ورأي الكوفيين بأن الواو هي الجارة بنفسها لأنها عوض عن رب مثلما تجر واو القسم المقسم به. وقد رأى المؤلف في هذه المسألة أن كلا الرأيين محتمل، وإن كان الأظهر قول البصريين. (انظر الفصول المفيدة 248).

3-استخدامه أحياناً بعض المصطلحات الكوفية أو التي تقترب منها: من ذلك إطلاقه على الواو التي ينتصب الفعل المضارع بعدها وهي بمعنى مع مصطلح واو الصرف (الفصول المفيدة 52) وهو مصطلح كوفي فهم يرون أن هذه الواو تسمى واو الصرف وتنصب الفعل المضارع على الخلاف (انظر الإنصاف في مسائل الخلاف المسألة 75) ثم انه استخدم مصطلح واو الجمع (الفصول المفيدة 52) التي ينتصب بعدها المفعول معه بدل واو العطف التي هي نص في المعية ولعل في هذا استخدام لغير المصطلح البصري في هذه المسألة.

موقفه من الأصول النحوية السماع والقياس وغيرها:

الكيكلدي العلائي يعتد بالسماع وبالقياس على المسموع (في تعريفهما انظر الاقتراح في أصول النحو للسيوطي 36- 70) في استنباط القواعد النحوية والاحتجاج لها.

ويتضح مدى تعويل المؤلف على السماع والقياس معاً في الاحتجاج للقواعد النحوية في غير مسألة من مسائل الخلاف، ومن ذلك:

1- رده على رأي الزمخشري في المفصل (شرح المفصل لابن يعيش 2/ 65) بأن "الجملة تقع حالاً... فإن كانت اسمية فالواو، إلا ما شذ من قولهم: كلمته فوه إلى فيَّ. وما عسى أن يعثر علية في الندرة، وأن قوله لقيته عليه جبةُ وشي. وقد رد المؤلف عليه قوله هذا مستنداً إلى السماع والقياس فقال "ومقتضى كلامه أن الاقتصار على الضمير في الجملة الاسمية دون الواو شاذ ونادر لا يعثر عليه إلا قليلاً لما أشار إليه بقوله "وما عسى أن يعثر عليه في الندرة، وكأنه أراد بالشذوذ القياس، وكل ذلك ليس بصحيح." (الفصول المفيدة 161).

أما القياس فالأصل في الرابط لجملة الحال الضمير، والربط بالضمير أقوى منه في الواو بدليل الاقتصار عليه في الحال المفردة والخبر والنعت (انظر المصدر السابق 161، 162).

وأما الاستعمال (السماع) فليس بنادر كما ذكر فمنه قوله تعالى (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة). (سورة الزمر آية 60)... ثم يورد آيات أخرى من القرآن الكريم، وأبياتاً من الشعر (انظر الفصول المفيدة 162 – 165)، ويرى أن كل هذه الشواهد المسموعة تمنع الضعف والشذوذ.

2- مناقشته لرأي أبي القاسم السهيلي في نتائج الفكر (انظر نتائج الفكر للسهيلي) من أن العامل في المعطوف بعد الواو فعل محذوف مقدر بعدها من جنس الفعل العامل في المعطوف عليه وأن حرف العطف دالٌّ على المقدر، وأن القياس والسماع يدلان على ذلك. وملخص الرد أن السماع فيه خلاف هذا الرأي فقد قالوا: اختصم زيدٌ وعمروٌ، وجلست بين زيدِ وعمروِ، ولا يصلح في هذا التقدير بعد الواو لأنه يفسد المعنى.

أما القياس فقد استثنى السهيلي هذا الموضع من جملة أنواع المعطوف التي يصلح بعد التقدير، فيقال له الأصل عدم الاختصاص، وإذا تبين في

هذا الموضع أن العامل في المعطوف هو العامل في ما قبله فكذلك في سائر المواضع لئلا يختلف الحكم في العطف وهو ظاهرٌ (انظر الفصول المفيدة 61)

شواهده: حفل هذا الكتاب القيم بكثير من الشواهد النحوية المتنوعة، فقد استشهد المؤلف على قضاياه النحوية واللغوية، بالقرآن الكريم والحديث النبوي، والشعر.

1- شواهده من القرآن الكريم: زخر الكتاب بحشد كبير من الشواهد القرآنية، فقد استشهد المؤلف بآيات من معظم سور القرآن الكريم، فقد بلغ عدد السور التي استشهد منها تسعاً وتسعين سورة، وعدد الآيات القرآنية ستاً وخمسين ومائة آية.

شواهده من الحديث النبوي الشريف والآثار: إذا كان ديدن النحاة التقليل من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف اعتماداً على أن كثيراً من الحديث مروي بالمعنى (الاقتراح في أصول النحو للسيوطي 40) فإن المؤلف في كتابه كثير من الحديث استشهد به على قضايا مختلفة. وبالنظر إلى الأحاديث والآثار التي استشهد بها المؤلف في كتابه تم إحصاء عشرين حديثاً وأثراً استشهد بها المؤلف.

ومن ذلك احتجاجه بالحديث النبوي لرد القول بأن الواو تدل على الترتيب، فقد أورد قول النبي صلى الله عليه وسلم "نبدأ بما بدأ الله به" تعقيباً على الآية القرآنية (إن الصفا والمروة من شعائر الله)، (سورة البقرة آية 158) وقال هكذا في صحيح مسلم بصيغة الخبر، وهو عند النسائي والدارقطني في رواية بصيغة الأمر "ابدأوا بما بدأ الله به" وسند ذلك جيد صحيح يحتج به، وجوابه أن الواو لو اقتضت الترتيب لما احتيج إلى ذلك ولكان التعليل وقع بمدلول الواو لابتداء الله بالصفا (الفصول المفيدة88، 89) .

ومن احتجاجه بالأثر قوله: "ويبين ذلك أن الفاء تجيء مكان الواو في مثله كما جاء في الخبر عن عبد الله بن عتيك، رضي الله عنه، حين دخل على أبي رافع اليهودي حصنه قال: (فانتهيت إليه فإذا هو في بيتٍ مظلم لا أدري أين هو

من البيت فقلت: أبا رافع. فقال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأَضْرِبُه بالسيف وأنا دهشٌ.) قال قوله (فأَضْرِبُه) مضارع عطفه بالفاء على ماضٍ لأنه في المعنى ماضٍ هذا قول الجرجاني وقد وافق عليه المؤلف. (المصدر السابق 171)

الشواهد الشعرية، والشعراء الذين احتج بشعرهم:

استشهد المؤلف في كتابه بكثير من الشعر وياتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، حيث استشهد الشاعر بحوالي أربعة وعشرين ومائة بيت من الشعر.

أما الشعراء الذين احتج بهم وتحديد فترتهم الزمنية، فشعراؤه مع تحديدهم الزماني على النحو الآتي:

رقم الشاهد	الصفحة	الشاعر	عصره	نسبته في الكتاب
1	38	ابن هرمة	عباسي	غير منسوب
2	45، 115	الأعشى	جاهلي	غير منسوب، منسوب
3	76، 348	أبو النجم العجلي	أموي	غير منسوب، منسوب
4	49	الكميت بن زيد الأسدي	أموي	غير منسوب
5	52، 209	الأخطل أو المتوكل الكتاني	إسلامي أموي	غير منسوب، منسوب
6	53، 146	الأسود بن يعفر	جاهلي	غير منسوب
7	53	أبو كبير الهذلي (عامر بن الحليس)	إسلامي	منسوب

8	55، 129	أبو تمام	عباسي، مولد	منسوب
9	60	الأنصاري: خالد بن عبد العزى	إسلامي	منسوب
10	61، 62	امرؤ القيس	جاهلي	منسوب
11	62	عدي بن الرعلاء الغساني	جاهلي	غير منسوب
12	65	عمرو بن امرئ القيس الأنصاري الخزرجي، أو قيس بن الخطيم	جاهلي	غير منسوب
13	66	حسان بن ثابت	إسلامي	غير منسوب
14	75	حسان بن ثابت	إسلامي	منسوب
15	75	الصلتان العبدي	أموي	غير منسوب
16	76	النابغة الجعدي	مخضرم	منسوب
17	77	لبيد	مخضرم	منسوب
18	80	أبو ذؤيب الهذلي	جاهلي	غير منسوب
19	93	سحيم عبد بني الحسحاس	مخضرم	منسوب
20	125	مجهول	من شواهد الهمع والكافية الشافية	غير منسوب
21	126	مجهول	من شواهد الخصائص والمغني	غير منسوب
22	126	مجهول	من شواهد	غير منسوب

			شرح الجمل لابن عصفور	
23	126	مجهول	من شواهد ضرائر الشعر والمغني	غير منسوب
24	133، 135	مجهول	من شواهد المغني ودلائل الإعجاز	غير منسوب
25	134	اليزيدي يحيى بن المبارك اللغوي)	عباسي (مولد)	منسوب
26	135	المتنبي	عباسي (مولد)	منسوب
27	137	محمد بن وهيب الحميري	عباسي	غير منسوب
28	141، 143	مجهول	من شواهد الانصاف وشرح الكافية	غير منسوب
29	152	مجهول، أو للأحوص	من شواهد ابن السراج والمغني (لعله أموي)	غير منسوب
30	153	يزيد بن الحكم الثقفي	أموي	غير منسوب
31	153	ذي الرمة	أموي	منسوب
32	153	ذي الرمة	أموي	منسوب
33	154	رجل من بني بحتر بن عتود	من أبيات الحماسة، وشواهد شرح	غير منسوب

			جمل الزجاجي لابن عصفور	
34	156	الحطيئة	مخضرم	غير منسوب
35	157	أبو عطاء السندي	أموي، عباسي	غير منسوب
36	157	أبو صخر الهذلي	أموي	غير منسوب
37	158	امرؤ القيس	جاهلي	منسوب
38	163	سلامة بن جندل	جاهلي (الأصمعيات)	غير منسوب
39	163، 167	بشار بن برد	عباسي (مولد)	منسوب
40	164	أمية بن أبي الصلت	جاهلي (لم يسلم)	منسوب
41	164	واثلة بن خليفة السدوسي، أو ابن المهلب	أموي	غير منسوب
42	164	الأخطل	أموي	غير منسوب
43	165	امرؤ القيس	جاهلي	منسوب
44	165	مجهول	من شواهد ابن مالك والأشموني وابن هشام	غير منسوب
45	168	الفرزدق	أموي	غير منسوب
46	169	ابن الرومي	عباسي (مولد)	منسوب
47	170، 210	عبد الله بن همام السلولي	إسلامي	منسوب

48	170	مجهول، أو رجل من سلول، أو شمر بن عمر الحنفي	من شواهد سيبويه	غير منسوب
49	171	تأبط شراً (عدة أبيات)	جاهلي	منسوب
50	175	حندج بن حندج المري	د.ت, من أبيات الحماسة	غير منسوب
51	189	مجهول	من شواهد سيبويه, وابن يعيش, والأشموني	غير منسوب
52	190	كعب بن جعيل	مخضرم	منسوب
53	190	زياد الأعجم	أموي	غير منسوب
54	194	عمرو بن معدي كرب، أو حضرمي بن عامر الأسدي	إسلامي	غير منسوب
55	202	عبد الله بن الزبعرى	جاهلي أدرك الإسلام	غير منسوب
56	202	مجهول	من شواهد أوضح المسالك وشرح الأشموني	غير منسوب
57	208	الأعشى أو الحطيئة أو ربيعة بن جشم أو دثار بن شيبان النمري	جاهلي أو إسلامي	غير منسوب
58	212	دريد بن الصمة	جاهلي	منسوب

59	213	كعب الغنوي	إسلامي	منسوب
60	213	قيس بن زهير، أو ورقاء بن زهير	جاهلي	منسوب
61	215	الحطيئة	مخضرم	منسوب
62	216	ورقاء بن زهير	جاهلي	منسوب
63	219، 231	ميسون بنت بحدل	أموي	منسوب
64	220	الأعشى	جاهلي	غير منسوب
65	220	الحصين بن حمام المري	من شواهد سيبويه	غير منسوب
66	226	المغيرة بن حبناء	أموي	غير منسوب
67	277	الأعشى	جاهلي	منسوب
68	277	النابغة الذبياني	جاهلي	غير منسوب
69	239	عمرو بن حنظلة التميمي	جاهلي	غير منسوب
70	239	غويَّة بن سلمي بن ربيعة الضبي	جاهلي	غير منسوب
71	241	مجنون ليلى (قيس بن الملوح)	أموي	غير منسوب
72	245	امرؤ القيس	جاهلي	منسوب
73	245	رؤبة بن العجاج	أموي عباسي	منسوب
74	246	أعرابية، أو ليلى الأخيلية	إسلامي	غير منسوب
75	247	امرؤ القيس	جاهلي	منسوب
76	247	ربيعة بنت مقروم	مخضرم	غير منسوب

		الضبي		
77	247	المتنخل الهذلي (مالك بن عوينر)	جاهلي	غير منسوب
78	247	رؤبة بن العجاج	أموي عباسي	منسوب
79	248	رؤبة بن العجاج	أموي عباسي	غير منسوب
80	251	الفرزدق	أموي	منسوب
81	252	مجهول، رجل من الأزد	من شواهد سيبويه	غير منسوب
82	253	مجهول	من شواهد الإيضاح للقيس	غير منسوب
83	253	حاتم طيئ	جاهلي	منسوب
84	254	حسان بن ثابت	إسلامي	منسوب
85	254	ضابئ البرجمي	مخضرم	منسوب
86	254	عدي بن زيد	جاهلي	منسوب
87	255	أبو كبير الهذلي	إسلامي	منسوب
88	255	أبو عطاء السندي	أموي، عباسي	منسوب
89	255	عمرو بن البراء	مخضرم	منسوب
90	256	أوس بن حجر التميمي	جاهلي	منسوب
91	256	جذيمة الوضاح	جاهلي	منسوب
92	256	الأعشى	جاهلي	منسوب
93	256	ثمامة بن مخبر السدوسي	د.ت	منسوب
94	257	بشر بن أبي خازم	جاهلي	منسوب
95	257	امرؤ القيس	جاهلي	غير منسوب
96	257	امرؤ القيس	جاهلي	غير منسوب

97	258	امرؤ القيس	جاهلي	منسوب
98	259	زهير بن أبي سلمى	جاهلي	غير منسوب
99	260	جران العود	جاهلي	غير منسوب
100	261	أبو محجن الثقفي	إسلامي	غير منسوب
101	265	أم معاوية (هند بنت عتبة)	مخضرمة	منسوب
102	265	جحدر بن مالك	أموي	منسوب
103	265	مجهول	من شواهد المغني، والأشموني	غير منسوب
104	265	امرؤ القيس	جاهلي	منسوب

من خلال الجدول السابق الذي تناولنا فيه الشواهد الشعرية للمؤلف يتضح أن الكيكلدي استشهد بـ (104) شاهداً شعرياً عدا الشواهد التي تم تكرارها في أكثر من مكان من هذه الشواهد عدد (51) بيتاً من الشعر منسوباً ومنها عدد (53) بيتا غير منسوب، ومن غير المنسوب عدد (15) بيتا مجهولا غير معلوم قائله، وهي شواهد نحوية استشهد بها نحاة سابقون كما هو موضح في الجدول، ومن غير المنسوب أيضاً عدد (38) بيتا معلوما قائله، وهم من شعراء عصر الاحتجاج إلا أن منها ما لم أقف على عصره بالرغم من أن نحاة قدماء استشهدوا بشعره واحتجوا به، ومن المنسوب عدد (46) بيتا يحتج به على القضايا النحوية واللغوية فقائلوها شعراء من عصر الاحتجاج، ومن المنسوب عدد (5) أبيات شعراؤها مولدون لا يحتج بشعرهم على القضايا النحوية، لكن الشاعر أتى بهم هنا في كتابه واحتج بشعرهم على القضايا النحوية واللغوية ناهيك عن بعض المسائل البلاغية قد احتج المؤلف عليها واستشهد لها ببيتين لمولدين.

الخاتمة

بعد أن تجولنا في فلسطين في القرنين السابع والثامن الهجريين، تاريخاً، وحياة سياسية وعلمية، ورأينا بعضاً من أمرائها وعلمائها في الزمنين الأيوبي والمملوكي، ورأينا كيف شارك الأيوبيون في الحياة العلمية بأنفسهم فكانوا علماء في النحو واللغة والقراءة والفقه مثلما كان الملك المعظم عيسى، ورأينا أيضا كيف شجع المماليك العلماء، وإن لم يشاركوهم التعلم كما فعل الأيوبيون، ورأينا كيف انخرط العلماء في التدريس، والتصنيف والتأليف متحركين في ثلاثة أقطاب جغرافية: فلسطين ومصر والشام، حيث إن فلسطين وفد إليها العلماء من كل المجالات، من الشام ومصر يدرسون ويؤلفون، ويشتغلون في القضاء في بيت المقدس وغزة وغيرهما، وولِد في فلسطين العلماء، ورحلوا عنها إلى مصر والشام، ومنهم من أقام فيها كما رأينا خلال البحث.

وإذا كانت هذه الفترة الزمنية فترة التأسيس التي ظهرت فيها بجلاء مظاهر البحث اللغوي والنحوي، فإنها بحاجة إلى مزيد من البحث لإلقاء الضوء على هذه الفترة الثرية بالكتب المخطوطة التي هي بحاجة إلى من يزيح عنها الركام ويقوم بتحقيقها وإبرازها للقراء والمهتمين.

وقد وجدنا من أهم الكتب النحوية عناية في هذه الفترة بدراستها وحفظها كتاب سيبويه الذي كان يدرَّس في معظم مدارس فلسطين إضافة إلى كتب ابن الحاجب الكافية والشافية وإلى ألفية ابن مالك.

وقد أنتج هذا العصر عدداً من المصنفات اللغوية والنحوية المهمة تناولناها في هذا البحث، ومن أهمها كتاب الفصول المفيدة في الواو المزيدة للكيكلدي العلائي، وتنبع أهمية هذا الكتاب من فرادة موضوعه لتميزه عن كتب النحو السابقة بموضوعه الذي يختص بالواو فيدرسها من ناحية صرفية، ونحوية ودلالية ويتناول مسائل الخلاف النحوي فيها، ومما ميز هذا الكتاب أيضاً كما رأينا فوق استشهاده بالقرآن

وبالشعر استشهاده بالحديث النبوي الشريف، والغوص وراء دلالة الواو في الأصول، والفقه، وتتبع بعض المذاهب الفقهية في هذا المجال كالمذهب الحنفي.

توصيات البحث:

لهذا البحث مجموعة من التوصيات نجملها كما يلي:

1- إبراز الدور العلمي لفلسطين وحاضرتها بيت المقدس وما حولها التي كانت في هذه الفترة الزمنية منارة علمية لا تقل أهمية عن مصر والشام.

2- إلقاء مزيد من الضوء على البحث اللغوي والنحوي في فلسطين خاصة في عهد التأسيس وما بعده.

3- الاهتمام بالنحويين واللغويين القدماء في فلسطين ودراستهم، ودراسة كتبهم ومصنفاتهم.

4- الاهتمام بتحقيق المخطوطات اللغوية والنحوية التي صُنِّفت في فلسطين في هذين القرنين وما بعدهما، خاصة وأن مكتبة المسجد الأقصى وغيرها تزخر بهذه المخطوطات النفيسة.